

مرثية توماس جراى

نشر الأستاذ على الطنطاوى فى (الرسالة) عدد ١٧٨ بتاريخ ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٢ ترجمة لمرثية جراى الشاعر الانجليزى الشهير تقلاً عن قراءة صديقه الأستاذ حيدر الركانى ، والأستاذ الطنطاوى أديب فنان لا يشق له غبار فى كل ما يكتب ، ومن الأفاضال الذين رفعوا رأس الأدب العربى الحديث عالياً ، ومن اللهمين الذين أراد الله لهم ولأدبهم الخلود ليؤدوا رسالة الأديب الفنان للمجتمع الذى يعيش فيه . ومما لا شك فيه أن الأستاذ الطنطاوى يؤله أن يقوم إنسان فيغير على آثاره الأدبية بترجمها ويقول على لسانه شيئاً لم يقله ، أو يشوّه أفكاراً ونماير خالدة فى فنه . ومما لا شك فيه أيضاً أن المترجم يحمل أمانة فى عنقه لمن يترجم عنه ، وعليه أن يؤديها غير منقوصة ، وألا ينقل إلا الواقع وإلا ما أراد ذلك المترجم عنه . وعندى أن الأستاذ لو ترجم المرثية عن أصلها لبان له من روحه الفنانة وإخلاسه ما يجعل ترجمته فى دقتها تقف فى صف واحد مع ترجمة جبالد للرباعيات الخيامية المشهورة . ولو كانت صفحات الرسالة تتسع لأكثر من هذا المقدار لقدست أمثلة على عدم دقة النقل ؛ والذى يراجع الأصل لا يجد صعوبة فى اكتشاف ذلك وهو كثير . على أن الواقع يدفنى إلى تقديم الشكر للأستاذ الطنطاوى على الاجادة التى لا تجارى فى ترجمته التى كادت أن تقرب من السكال . وإنما لارجو أن يتبارى الشعراء فى نقل هذه القطعة الخالدة إلى الأدب العربى شعراً بالرجوع إلى الأصل مع الاستمانة بترجمة الأستاذ المذكورة

وزيادة لفائدة القراء رأيت أن أذكر مختصراً حياة الشاعر

توماس جراى وعن الظروف التى رافقت نظم تلك المرثية

توماس جراى Thomas Gray

ولد فى السادس والعشرين من ديسمبر ١٧١٦ فى كورن هل

(Cornhill) ، حيث كانت والدته وشقيقتها يتجران بقصات

السيدات ، وكان والده فيليب جراى كاتب عقود رسمية ، وكان هو الوحيد الذى عاش من أسرة عدد أفرادها اثنا عشر شخصاً . وفى سنة ١٧٢٧ التحق بكلية إيتون حيث كان عمه مدرساً مساعداً فى تلك الكلية ، وهناك نشأت صداقته اللينة مع ريتشارد وست ، وهراس ولبول ، وتوماس اشتون

وترك كبردج فى السنة التالية دون أن ينال أجازة علمية ؛ ورحل فى عام ١٧٢٩ إلى القارة مع صديقه الحميم هراس ولبول فى رحلة استغرقت ما يقرب من التسعة أشهر ، وعاد بمدها إلى لندن . وفى سنة ١٧٤١ توفى والده فانتقلت والدته وشقيقتها إلى النيشة مع أخت تالسة اسمها ماري فى مقاطعة بكنجهامشير (Buckingham Shire) ، وهناك نظم أول قصيدة عنوانها اجريينا (Agrippina)

وفى عام ١٧٤٢ مات صديقه ريتشارد وست ، فرماه رثاه مؤثراً . وفى هذه السنة عاد إلى كبردج وبقي مدة سنتين حصل فى نهايتهما على درجة بكالوريوس فى الحقوق وبعد ذلك بخمس سنوات توفيت خالته ماري وأحرق منزله فى كورن هل

وفى عام ١٧٥٠ أكل مرثيته التى نحن بصدها ، وبعد ذلك بثلاث سنوات توفيت والدته . وفى سنة ١٧٥٧ عرض عليه أن يكون شاعر العرش البريطانى الذى خلا بموت كولى سير (Colley Cibber) فرفض ذلك . وبعد ذلك بخمس سنوات عرض نفسه ليكون مدرساً للتاريخ بدلاً من الدكتور ترز المتوفى فى تلك السنة ، ولكن اللورد بيوت حال بينه وبين هذه الأمانة التى نالها بمد تماني سنوات

وفى سنة ١٧٦٥ زار اسكتلندا وهناك عرضت عليه جامعة أبردين Aberdeen أن تمنحه لقب دكتور فى الحقوق فرفض ذلك مستنداً الى أن دراسته فى كبردج لا تؤهله لقبول مثل هذا اللقب . وبعد ذلك بأربع سنوات نظم نشيده المشهور Ode to music الذى مُثل عند تولية دوق جرافتون رئاسة الجامعة التى كان يدرس فيها التاريخ الحديث ، وزانى فى تلك السنة منطقة البحيرات

الثقافة والأنتاج العلمي في فلسطين

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

لا يختلف اثنان في أن الوضع الحاضر في فلسطين شاذ وغير طبيعي وهو غيره في الأقطار الشقيقة المجاورة ، فالكل يقاسي آلاماً مبرحة من الاستعمار والمستعمرين ، والسكل واقع تحت نير الاستعباد والعبودية ؛ ولست واجداً أحداً يرضى عن السياسة البتيمة في بلاده وعمما يجرى حوله ، إلا أن هناك فرقاً بين فلسطين وغيرها من البلاد المجاورة ، ففي هذه جيروت واحد وطاغية واحد ، وهنا جيروتان وطاغيتان قد تلححا بالخبث والمكر والقوة والدهاء ، وعلى هذا فالصيبة هنا أعظم والبلاء هنا أعم والخطر عميق والفناء يهدد

ومن الطبيعي أن بلاداً هذه حالها لا تكون صالحة للإنتاج العلمي ولا لازدهار الثقافة والأدب بالمعنى الواسع . ومن الطبيعي أن تؤثر هذه الأوضاع على الشباب المثقف وعلى الأدباء والعلماء فتأخذ قسماً من أوقاتهم ومجهوداتهم وتفكيرهم بصرفونها في صيادي السياسة للدرء الأخطار المحدقة ، ولتخفيف المصائب المنصبة علينا انصباباً من كل جانب . وكيف يمكن لثقافة أن تنمو ، ولقرينة أن تنتج وتبتدع إذا لم تكن تلك القرينة في جو من الحرية ، وفي محيط خال من القيود والافلال ليس فيه من يسخرك لمنافسه ومصالحه ، وليس فيه من يمس للقضاء على معنوياتك ، وعلى قتل الطموح فيك ؟

وكيف يمكن لشباب أن يمكف على العلم بقصد الاستزادة والاكتشاف والبحث والاستقصاء إذا لم يكن هناك من يساعده ويشجعه ويأخذ بيده ؟ فكيف به إذا وجد في محيط كله تثبيط للمعلم ، وكله إحباط للمزاعم ؟ . وإذا تتبعنا الطرق التي تسير عليها الحكومات المستعمرة في مختلف دوائرها ، ولا سيما المعارف منها نجد أنها ترمي إلى القضاء على روح الطموح ، على روح البحث وحب الاستزادة من العلوم والفنون ؛ ترمي إلى خلق روح الاعتماد في المناشئة على الغير ، إلى إماتة الروح الوطنية ،

وفي سنة ١٧٧١ توفى فجأة بينما كان يتناول طعام الغداء ، إلى جانب والدته في ساحة الكنيسة في Stoke Poges في مقاطعة بكنجهامشير

هذا مختصر لحياة هذا الشاعر . وفيما يلي وصف لظروف المرثية :

Elegy Written in a Country Churchyard

ابتداءً في نظم هذه المرثية في عام ١٧٤٢ ولكن القسم الأعظم منها كتبه بين السنوات ١٧٤٦ - ١٧٥٠ ، وقد أتمها في اليوم الثاني عشر من شهر يونيو سنة ١٧٥٠ ، وفي العاشر من فبراير أرسل إليه رئيس تحرير مجلة المجلات الإنجليزية Magazine of Magazines يستأذنه في نشرها في مجلته فرفض طلبه . وعند ذلك أسرع وطلب إلى صديقه هراس ولبول أن ينشرها على الناس دون إمضاء . وفي السادس عشر من نفس الشهر طبعت في كراسة بعنوان « مرثية كتبت في ساحة كنيسة قرية » مع المقدمة التالية من ولبول : « لقد وقمت القصيدة التالية في يدي مصادفة ، إذا جاز أن يدعى انتشار هذه القطعة وذيوها بين الناس عرضاً . إن الاستحسان الذي صادفته هذه القصيدة سيجعل اعتذاري لمؤلفها في غير محله ، لأنه ولا شك يشمر باعتباط شديد لامحباب الناس وسرورهم بها فيما مضى . وعملاً لا شك فيه أيضاً أنه سيفغري جرائي على النشر ، لأشاركه تقديم المرات لمدد آخر غير قليل »

وهناك ثلاث نسخ بخط الشاعر جرائي نفسه محفوظة حتى اليوم . فالأولى كانت سابقاً ملكاً للسير W. Frazer وهي الآن في كلية ايتون ، ومن المحتمل أن تكون النسخة الأصلية . والثانية تخص Wharton ورتون وهي موجودة في المتحف البريطاني تحت الرقم (٢٤٠٠) . والثالثة في كلية يمبروك Pemroke وفي آخر هذه النسخة يكتب جرائي بخطه أيضاً ما يأتي : « نشرت في فبراير سنة ١٧٥١ بواسطة دوزلي وأعيد طبعها أربع مرات شهرين ، وبعد ذلك طبعت الطبعة الخامسة حتى الحادية عشرة . وأعيد طبعها في ١٧٥٣ بواسطة مستر ينتل ثم ترجمت إلى اللاتينية وطبعت في عام ١٧٦٢ »

(تاليس)